وبالحظة الغفران كم خففت من وخز ضميره ، وكم حلت من عبء عذابه ، وكم قربت بينه وبين الله !

ومضى يحدثها ويحدثه ، ويا عجبا ... لقد عاد إلى الوجه الشاحب إشراقة الفجر ، وإلى الوجنة الذابلة نضارة الورد ، وإلى النظرة الفاترة صفاء النبع ، وإلى الجسد المنهك تدفق العافية !

وقالت له وهي تستوي في سريرها جالسة : أنظر . . ألا ترى أن العافية قد عادت إلى بعودتك ؟ فأجاب والفرحة الجارفة تهز كل ذرة في كيانه : لو كنت أعلم لعدتك قبل اليوم ، ولما تركتك نهبا لعوادي السقم ! ومضى يحدثها ويحدثه ، ويقرأ لها ويصغي إليه ، ويبني لها من قصور الأوهام ما شاءت له فنونه وشجونه . وتقول له وهي في غمرة الأماني وزحمة الأحلام : بالله دعنا من المستقبل وخلنا في الحاضر ... إن غداً ليوم عيد ، فهل فكرت في أن تهيء لنا مكاناً جميلا نقضي يومنا فيه ؟ ! ويقول في صوت تنطلق فيه الهمسة من لجاج روحه : أما العيد فأنا اليوم فيه ... وأما المكان الجميل فقد هيأته لك في قلبي !

وترنو إليه معجبة ، ويرتسم على شفتيها ظل ابتسامة فاتنة ، وتهتف من الأعماق قائلة له : هل تعرف أنك تجيد فن الحوار ؟. لماذا لا تعالج كتابة القصة ؟ ... أنا في انتظار اليوم الذي تكتب فيه قصتك الأولى .

ويعدها بأن يكتب قصته ، ويودعها وتودعه ، وينطلق عائداً إلى بيته على أن يراها في صباح العيد ... ولم يكن يعلم أن المقادير تدخر له أسود ليلة في رصيد العمر ، وأبشع صباح في حساب الشعور ! ولم يكن يدرك أن ما رآه من ومضات العافية حين جلس إليها كان أشبه بومضات المصباح قد فرغ زيته ، فهو يرسل أسطع أضوائه قبل أن ينطفيء ، ويترك الحياة من حوله يختنق فيها النور تحت قبضة الظلام !

لقد طوى الموت في المساء صفحة عمر ، وغيب القبر في الصباح أحلام عذراء . ولقد رغبت إليه أن يكتب قصته الأولى ، فاليك يا قبرها بقدم أول قصة وآخر قصة .

وكل حقيقة بعدها وهم ، وكل واقع بعدها خيال ، وكل إيمان بعدها شك ، وكل وجود بعدها عدم . . وكل معنى من معاني الخير والجمال بعدها هباء !

أنور المعداوي

من رمال المصيف

رسالة في قصيرة

« إلى التي خطرت كالضياء ، ثم عبرت بغير سلام أو وداع »

للأستاذ علي محمود طه

إذا أقبل الليل يا حيرتي ... تفقدت في الشط حوريتي
وعدت كئيباً إلى غرفتي ... أراعي الكواكب من شرفتي
وأشعل بالوجد سجارتي ... فلا البدر حيب لي سهرتي
ولا البحر هدأ من ثورتي ... وحيداً تسامرني فكرتي !

أجلس يا بحر وحدي هنا ... فأين من العين ذاك السني
وأين من القلب تلك المنى ... وأين مواعيد نادت بنا
وأين المساء الذي ضمنا ... لديك وألف ما بيننا
فيا ويح قلبي ماذا جنى ... ليحمل هذا الأسى والضنى !

خلا من محياك هذا المصيف ... وأقفر ذاك الندي اللطيف
كأني به قد دهاه الخريف ... فليس عليه خيال مطيف
ذوى بشره فهو أفق كسيف ... وبر حزين وبحر لهيف
وموج له أنة أو وجيف ... وريح تنوح وليل شفيف

غداً يا حبيبة عند المساء ... سنسأل عنا نجوم السماء
ألم يضربا موعداً للقاء ... على صخرة بين رمل وماء ؟
أجل يا حبيبة هذا الضياء ... ذهبنا وعدنا بحكم القضاء !
غريبين نضرب عبر الفضاء ... كأنا على جفوة أو تنائي

مددت إليك يد الوائق ... فعادت بلذع جوى حارق
وأبعدت يا رحمة الخالق ... فم الحب عن نبعك الدافق
تعالى إلى روحي الوامق ... تعالى إلى قلبي الخافق
تعالى على عهدك السابق ... تعالى إلى إلفك العاشق !

(سيدي بشر) علي محمود طه